وما سواها (116)

ديناميكيـــــة الفســـــاد والإفســـاد!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa116-110416.pdf

د. صـــــادق السامرائـــــي
أمريكـــا - العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

"وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد" البقرة 205

الفساد من المَفاسد دون المصالح , وهو نقيض الصلاح , والإستفساد خِلاف الإستصلاح , وتقول الأمير يستفسد رعيته , وقد تمادى في إستفسادهم .

والمَفسدة ضد المصلحة.

وبعض دولنا تصدّرت دول العالم في الفساد حسب تقارير الأمم المتحدة , وهذا وضع مأساوي يدعو إلى وقفة جادة وتفاعل سليم , للخروج من نفق الضياع والدمار والخراب الشامل.

ولا يمكن الإقتراب من هذه المشكلة المخيفة بالقوة والمحاكم والإتهامات والتفاعلات السلبية الضارة والمؤازرة للفساد , وإنما يكون بالدراسة العلمية والموضوعية , والتفتيش عن الأسباب الحقيقية ومعالجتها بشجاعة وحزم.

فالعالم اليوم لا يترك صغيرة وكبيرة إلا تعمق في البحث عن أسبابها وتشخيصها وتوصيف العلاج اللازم لها , لكي تمضي عجلة التقدم وتنعدم العوامل التي تمنعه.

والفساد من أكبر المعوقات التي تواجه الأمم والشعوب , وبنظرة متفحصة تبرز أمامنا أسباب عديدة للفساد في الدول والمجتمعات.

أولا : البطالة

تشكل نسبة البطالة العالية ركنا أساسيا وقويا من أركان الفساد الإداري والإقتصادي والأخلاقي وغيرها من أنواع الفساد الأخرى.

وقد لعبت البطالة دورها الضار في تدمير المجتمع وتحويله إلى مستنقع للويلات والإضطرابات ومرتعا للموبقات.

ثانيا: غياب القانون

عندما يكون القانون مغيبا والعصابات مهيمنة على شؤون الحياة , سواءا كانت عصابات دينية أو حزبية أو غيرها , فأن الفساد سيكون قانونها ومرتعها لأنها بالفساد تترعرع وتكون , وبغيره تذهب إلى بئس المصير.

فسيادة القانون تتناسب عكسيا مع إنتشار الفساد.

كما أن ضعف المحاسبة والمسؤولية , ووجود أفراد من المجتمع يتصرفون وكأنهم فوق القانون , أو هم القانون يؤدي إلى الإفساد الجماعي وشيوع التقاليد الفاسدة.

ثالثا: ضعف الغيرة الوطنية

البشر الذي يغار على وطنه لا يمكنه أن يمتهن الفساد ويمارسه ويساهم في طغيانه على أرجاء نشاطات دولته ومجتمعه.

بعض دولنا تصدّرت دول العالم في الفساد حسب تقارير الأمم المتحدة , وهذا وضع مأساوي يدعو إلى وقفة جادة وتفاعل سليم , للخروج من نفق الضياع والدمار والخراب الشامل

العالم اليوم لا يترك صغيرة وكبيرة إلا تعمق في البحث عن أسبابها وتشخيصها وتوصيف العلاج اللازم لها , لكي تمضي عجلة التقدم وتنعدم العوامل التي تمنعه

تشكل نسبة البطالة العالية ركنا أساسيا وقويا من أركان الفساد الإداري والإقتصادي والأخلاقي وغيرها من أنواع الفساد الأخرى

فليس من الفخر أن يكون أي بلدٍ متقدما في الفساد , بل أنه وصمة عار كبيرة وعلى الناس جميعا أن ينتفضوا وتأخذهم الحمية الوطنية لتطهير حاضرهم من هذه المثلبة الحضارية المعيبة.

رابعا:ضعف الدين

إن الوعي الديني يمنع الفساد , فالذي يعرف دينه لا يمكنه أن يقر بالفساد , بل عليه أن يكون من أكثر الناس أمانة ومخافة من ربه , وينأى بنفسه عن كل ما هو فاسد ومضر بالحياة وبحقوق الآخرين مهما كانوا.

والعجيب في أمرنا أن عدد العمائم المنتشرة في المجتمع تتفوق على عدد العمائم في أي مجتمع آخر , لكن الفساد يبدو وكأنه يتناسب طرديا مع عدد العمائم في المجتمع , وهذا يدل على أن أصحاب العمائم لا يثقفون الناس دينيا بل يساهمون في تجهيلهم وأميتهم وإنحرافهم الأخلاقي والسلوكي , وإلا كيف تفسر هذه العلاقة الشاذة ما بين الفساد السائد والعمائم السائدة.

خامسا:العوامل الإقتصادية

القهر الإقتصادي وإختناق الفرص , وعدم توفر المنافذ اللازمة لتفريغ الطاقات البشرية , وإرضاء الحاجات الأساسية , تدفع بالناس إلى فقدان المعايير والتفاعل الفاسد المضر بالحياة والمجتمع.

وعندما يصبح الموظف معتادا على الرشوة التي تساهم في توفير حاجاته , فأنه يصاب بحالة الإدمان على الفساد , ولا يمكنه أن يتخيل بأنه ينجز معاملة مواطن واحد من غير أن يقدم له رشوة معينة.

فالفساد يتناسب عكسيا مع التطور والنمو الإقتصادي.

سادسا: إضطراب الوضع الإجتماعي

عندما تنتشر الطائفية والعرقية والطبقية والفئوية والحزبية , وتضعف الوطنية وروح المواطنة فأن الفساد يعم ويطغى .

ولا يمكن لمجتمع مضطرب الأركان أن يكون خاليا من الفساد ودواعي الإفساد عبر جميع الوسائل المتاحة , والتي يستحوذ عليها أصحاب التأثير الفاسد على العباد.

سابعا: غياب الإستقرار السياسي

عدم الإستقرار السياسي كما هو معروف يؤدي إلى تنامي الفساد.

ولا توجد دولة مضطربة سياسيا ولا يعم فيها الفساد ويترعرع , لأن الأجواء تكون مؤهلة ومحفزة لتحقيق الفساد , بل ويصبح الفساد وسيلة الناس للعيش والمواصلة , لتقطّع أسباب البقاء ومؤهلات الحياة الحرة الكريمة.

ثامنا: صعوبة الحياة

عندما تشتد صعوبة الحياة يشتد معها الفساد , وتتحطم النظم والمعايير , ويضعف القانون وتتآكل مواده.

ويبدو أن تراكم التأثيرات القاسية التي تديم مرارات العيش وتعسّر سبله ووسائله , كغلاء المواد الغذائية وندرتها أحيانا وكذلك عدم جودتها , وضعف الخدمات وإنعدامها من ماء وكهرباء ونقل ومجاري , وكذلك الخدمات الصحية وتدني مستويات الرعاية الطبية , كلها تساهم في صناعة البيئة المناسبة لرعرعة الفساد .

تشكل نسبة البطالة العالية ركنا أساسيا وقويا من أركان الفساد الإداري والإقتصادي والأخلاقي وغيرها من أنواع الفساد الأخرى.

عندما يكون القانون مغيبا والعصابات مهيمنة على شؤون الحياة , سواءا كانت عصابات دينية أو حزبية أو غيرها , فأن الفساد سيكون قانونها ومرتعها لأنها بالفساد تترعرع وتكون , وبغيره تذهب إلى بئس المصير

البشر الذي يغار على وطنه لا يمكنه أن يمتهن الفساد ويمارسه ويساهم في طغيانه على أرجاء نشاطات دولته ومجتمعه

إن الوعي الديني يمنع الفساد , فالذي يعرف دينه لا يمكنه أن يقر بالفساد , بل عليه أن يكون من أكثر الناس أمانة ومخافة من ربه , وينأى بنفسه عن كل ما هو فاسد ومضر بالحياة وبحقوق الآخرين مهما كانوا

القهر الإقتصادي وإختناق الفرص , وعدم توفر المنافذ اللازمة لتفريغ الطاقات البشرية , وإرضاء الحاجات الأساسية , تدفع بالناس إلى

فقدان المعايير والتفاعل الفاسد المضر بالحياة والمجتمع

تاسعا:التقاليد الإجتماعية المشوهة

لو كان الفساد تقليدا إجتماعيا مرفوضا لما تحقق في المجتمع , لكنه لا يُعتبر كذلك , فالرشوة والمحسوبية والسرقة وأخذ حقوق الآخرين تُحسَبُ شطارة وشجاعة , وغيرها تُعد ضعفا وخوفا وجبنا .

ولكي تكون شجاعا عليك أن تمارس الفساد , وتمتهن ما هو منحرف لكنه يجلب المال الوفير المُطعّم بالسحت الحرام.

كما أن سلوك الإكراميات قد تحول إلى رشاوى , وأصبح الموظف الذي لا يرتشي لا يمكنه أن يتواصل في معيشته بسبب ضعف الرواتب وفقدانها لقيمتها الشرائية.

عندما تنتشر الطائفية والعرقية والطبقية والفئوية والحزبية , وتضعف الوطنية وروح المواطنة فأن الفساد يعم ويطغى

عاشرا:تردي القيم الأخلاقية

المجتمع الذي يسود فيه الفساد وينتعش أصحابه بممارستهم للنشاطات الفاسدة من غير رادع إجتماعي أو أخلاقي , إنما هو مجتمع مشكوك بسلامته الأخلاقية وصلاحية تفاعلاته على جميع المستويات.

والفساد يشير وبلا شك إلى حالة الإنحطاط الأخلاقي والقيمي في أي مجتمع , إذا إنعدمت فيه الشفافية والوضوح , وأصبح العمل بالكتمان والخفية والإمتهان , وغابت المحاسبة وإنتعش التسلط والطغيان , ونمت الأنانية والبخل ومسوغات البهتان.

لا توجد دولة مضطربة سياسيا ولا يعم فيها الفساد ويترعرع , لأن الأجواء تكون مؤهلة ومحفزة لتحقيق الفساد , بل ويصبح الفساد وسيلة الناس للعيش والمواصلة , لتقطع أسباب البقاء ومؤهلات الحياة الحرة الكريمة

حادي عشر:التفاوت الطبقي الكبير

التغير السريع بحالة التفاعل الطبقي الإجتماعي تدفع إلى الفساد, فالسّراق والمرتشون هم أحسن حالا ومقدرة وقوة من الذين ينتهجون الطريق القويم , والذين يخافون الله فيما يفعلون ويذكرون. فترى أناسا قد إنتقلوا من حالة إلى أخرى بين ليلة وضحاها , ومؤهلاتهم أنهم قد عبّروا عن السلوك الفاسد وغمطوا حقوق الآخرين , وشكروا الله كثيرا على هذا الرزق الكثير , ولا يريدون أن يعرفوا معنى الحلال والحرام فيما يكسبون لأن في ذلك الخسران.

عندما تشتد صعوبة الحياة يشتد معها الفساد , وتتحطم النظم والمعايير , ويضعف القانون وتتآكل مواده

ثاني عشر: غياب خدمات الرعاية الإجتماعية

في مجتمع لا تتوفر فيه أبسط مؤهلات خدمات الرعاية الإجتماعية , ومرتكزات الحفاظ على كرامة الإنسان وقيمته ودوره الكريم في الحياة , يكون من السهل على الفرد أن يمارس الفساد وينسى ربه ووطنه وينكر دينه , إلا بما يبرر فيه فعله الفاسد ويعزز سلوكه المنحرف الذي يوفر له بعض ممكنات الحياة.

لو كان الفساد تقليدا إجتماعيا مرفوضا لما تحقق في المجتمع , لكنه لا يُعتبر كذلك , فالرشوة والمحسوبية والسرقة وأخذ حقوق الآخرين تُحسَبُ شطارة وشجاعة , وغيرها تُعد ضعفا وخوفا وجبنا

ثالث عشر: الضمانات الإنسانية الضائعة

في حالة وقوع المجتمع فريسة للخوف والقلق وضياع الأمان والمستقبل والحيرة وعدم وضوح طريق الأيام , يصبح الوجود فيه مشوشا والتفاعل ضبابي ومشحون بالسلبية واليأس , مما يدفع وبقوة إلى إرتكاب كل سلوك متفق والحالة النفسية السائدة فيه.

فهذه الأجواء تجعل البشر في تحفز وتأهب من أجل أن يفعل ما يمكنه أن يفعله في لحظة مواتية , فتراه يسرق وينهب ويقتل ويرتكب أفظع الجرائم , لأنه في مأزق وجودي خطير , يدفعه للتكشير عن أنياب همجيته , ونوازع أمّارات السوء التي فيه.

رابع عشر:فقدان قيمة العمل

العمل يفقد قيمته لأنه لا يوفر الحياة الحرة الكريمة لصاحبه , وإنما يرمي به في مهاوي العناءات اليومية , ويتسبب له بالمزيد من القهر والشقاء والإستلاب والتدمير الذاتي والنفسي , الذي يبلد قدرات الرحمة والخوف والعمل بالمعروف , لأن ضغط الحياة قد حوّله إلى مخلوق آخر يناهض طبيعته ودوره الذي يطمح أن يقوم به.

خامس عشر: المَثل والقدوة الفاسدة

فالمثل والقدوة هم أصحاب المسؤولية المتقدمة في الدولة , وعليهم تقع أكبر الإلتزامات في إعطاء الصورة المعاصرة الحسنة التي يمكن أن يتبعها الآخرون , لأن السلوك يكون بالإحتذاء والتقليد أكثر مما يكون بغير ذلك.

ولا يمكن لدولة أن يعم فيها الفساد إن لم يكن في مقدمتها مَن يرعى نشاطاته , ويساهم في إسناده ويعطي الأمثلة الواضحة على الأداء الفاسد.

ولا يمكن عزل فساد دائرة من دوائر أية دولة عن فساد الدائرة الأولى فيها , وتلك حقيقة وقانون لا يقبل الشك .

فإذا كان الأب فاسدا فأن الأبناء والبنات سيعبرون في سلوكهم عن الفساد الذي عبّر عنه أبوهم وألهمهم مهارات الفعل الفاسد وكيفيات تمريره.

سادس عشر: قواعد العمل المفقودة

في دوائرنا لا توجد ضوابط وقواعد للعمل , ولا توجد معايير لجودة الأداء والتطور والإرتقاء في العمل الإداري , بل أنها محسوبيات وحزبيات ومقاييس بائدة متأخرة متعفنة , لا ترقى إلى مستوى التفاعل في هذا العصر المتنور والمشحون بالدراسات والأبحاث , التي ترصد كل خطأ وإنحراف في الأداء والسلوك في أية دائرة أو نشاط بشري.

سابع عشر: إنعدام الشعور بالمسؤولية

الشعور بالمسؤولية والدور ركن أساسي من أركان البناء الوطني الصالح , وضعف هذا الشعور وقيمته وأثره في الحياة الإجتماعية , يؤدي إلى بناء الوجود الإجتماعي والإداري الفاسد , إذ يصبح كل واحدٍ غير راعٍ وغير مسؤولٍ عن رعيته , فيتحقق التسيب والإنفلات والفساد على جميع المستويات.

ثامن عشر: رواتب الموظفين

لماذا لا تكون رواتب الموظفين ذات قدرة على توفير العيش السعيد للموظف؟

لماذا لا يتقاضى الموظف راتبا سنويا ما بين إثني عشر ألف دولار وأربعين ألف دولار؟

ولماذا لا يكون مستوى الرواتب مثلما هو في الدول المتقدمة؟

ألا نستطيع أن نحقق ذلك مع كل عائدات النفط التي عليها أن توزع بعدالة ونكران ذات ووطنية صادقة؟

لو تقاضى الموظف ما يكفيه لتحقيق سعادته وسعادة عائلته , لحارب الفساد وشعر بالغيرة على عمله ودائرته ولجابهه بكل طاقاته وقوته , ولأصبح الفساد قيمة إجتماعية مرفوضة ومنكرة, مثلما هو في أية دولة متقدمة ومتحضرة.

المجتمع الذي يسود فيه الفساد وينتعش أصحابه بممارستهم للنشاطات الفاسدة من غير رادع إجتماعي أو أخلاقي , إنما هو مجتمع مشكوك بسلامته الأخلاقية وصلاحية تفاعلاته على جميع المستويات

التغير السريع بحالة التفاعل الطبقي الإجتماعي تدفع إلى الفساد, فالسّراق والمرتشون هم أحسن حالا ومقدرة وقوة من الذين ينتهجون الطريق القويم , والذين يخافون الله فيما يفعلون ويذكرون

في مجتمع لا تتوفر فيه أبسط مؤهلات خدمات الرعاية الإجتماعية , ومرتكزات الحفاظ على كرامة الإنسان وقيمته ودوره الكريم في الحياة , يكون من السهل على الفرد أن يمارس الفساد وينسى ربه ووطنه وينكر دينه

المثل والقدوة هم أصحاب المسؤولية المتقدمة في الدولة , وعليهم تقع أكبر الإلتزامات في إعطاء الصورة المعاصرة الحسنة التي يمكن أن يتبعها الآخرون , لأن السلوك يكون بالإحتذاء والتقليد أكثر مما يكون بغير ذلك

تاسع عشر: النفط

أحد أهم أسباب الفساد لأنه يدفع إلى الثراء الفاحش لفئة من المجتمع تمكنت من الإستحواذ عليه ومنعت حق الآخرين فيه , مما يدفع إلى تنمية روح العداء والكراهية وتشجيع السلوك الفاسد. ولابد من التعامل مع هذه الثروة بعدل وإنصاف , وأن يكون للمواطن حق معقول ومقبول فيها وبلا تمييز أو غبن.

عشرون: محاربة الصحافة والصحفيين

فالفساد يكون أقل في الدول الديمقراطية التي تحترم حرية التعبير , وتصون حقوق الصحفيين وتهتم بدورهم في بناء المجتمع.

فالصحافة الحرة هي عين المجتمع التي لا تنام عن كل سلوك فاسد في جميع دوائر الدولة ومراكز الأنشطة.

وبإزدهار دور الصحفيين وسيادة حرية الصحافة يلوذ الفساد خائفا في جحور ظلماء , ويتطهر المجتمع من آفاته وأمراضه الخبيثة المعدية.

"ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون" الروم 41

هذه بعض الأسباب التي يمكن التصدي لها وهناك أسباب أخرى عديدة , على الجهات المعنية بالأمر أن تقترب منها بعلمية وإيجابية , وسعة أفق وشفافية ونكران ذات وحكمة , ودراسة مستفيضة وخبيرة من أجل وضع الحلول الناجعة والمؤثرة , لتحرير الوجود الوطني من هذه الآفة المهينة التي تمحق ذاته وهويته وملامحه المميزة.

ولا بد أن يكون البدء من الرأس وما يدور حوله وبقربه , لأن المفاصل الأخرى في سلم التدرج الإداري دائما تقتدي برأسها وما يتقدم عليها.

فالفساد قد يكون بسبب تدخل الدولة في كل شيئ وتحطيمها لروح المنافسة الوطنية الشريفة , لكنه يضعف عندما نعلي قيمة النوعية والجودة في العمل والإنتاج ونضع معايير واضحة للخدمات المختلفة.

فهل يا ترى سنتصدى بحكمة ووعي وحزم للفساد أم سنبقى ضحايا من ضحاياه وغرقى في مستنقعاته الراكدة.

"....ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" القصص 77

*** ***

*** ***

إذا كان الأب فاسدا فأن الأبناء والبنات سيعبرون في سلوكهم عن الفساد الذي عبّر عنه أبوهم وألهمهم مهارات الفعل الفاسد وكيفيات تمريره

لو تقاضى الموظف ما يكفيه لتحقيق سعادته وسعادة عائلته , لحارب الفساد وشعر بالغيرة على عمله ودائرته ولجابهه بكل طاقاته وقوته , ولأصبح الفساد قيمة إجتماعية مرفوضة ومنكرة, مثلما هو في أية دولة متقدمة ومتحضرة

الفساد يكون أقل في الدول الديمقراطية التي تحترم حرية التعبير , وتصون حقوق الصحفيين وتهتم بدورهم في بناء المجتمع